وَاهًا لسلْمى ثُمَّ وَاهاً وَاهَا ... يَا ليْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَافَاهَا

هِيَ المُنَى لَوْ أنَّنَا نلْنَاهَا ... ومَوْضع الخُلْخَال من قدمَاهَا

إنَّ أبَاهَا وأبَا أبَاهَا ... قَدْ بلغَا فِي المجْدِ غَايتَاهَا

فقال : إنَّ أباها . ولم يقل : إنَّ أبيها ؛ لأنه يُلزِم المثنى الألف .

إذن : لم ينزل القرآن بلغة قريش على أنها لغة سيادة ، وإنما لأنها تنطوى على زُبْدة فصاحات لغات الجزيرة كلها ، وكانت لغة قريش تصفَّى فى مواسم الشعر والأدب فى عكاظ وذى المجنَّة وغيرها .

نعود إلى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿قَالُوا إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا .. (٦٣)﴾ [طه] ويبدو أن استعداء فرعون لقومه على موسى وهارون جاء بنتيجة ونالتْ حيلته من نفوسهم ؛ لذلك يُردِّدون نفس كلام المعلم الكبير فرعون ، فيتهمون موسى وهارون بالسحر .

وقولهم : ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣)﴾ [طه] طريقتهم المثلى . أى : ما ارتضاه القوم للعيش عليه ، والمذهب والطريق الذى سلكوه . والمراد بالطريقة المثلى التى ساروا عليها أنهم اتخذوا واحداً منهم إلهاً يعبدونه ويأتمرون بأمره ، تلك هى الطريقة المثلى[1] !! والمثلى : أى الفاضلة مُذكَّرها أمثل .

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤)﴾

(١) وقد قال تعالى عن فرعون أنه قال : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)﴾ [غافر] . وقال فى آية أخرى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)﴾ [غافر] .

أى : تنبهوا واشحذوا كل أذهانكم ، وكل فنونكم ، وحركاتكم فى السحر حتى لا يتمكنا من هذين الأمرين : إخراجكم من أرضكم ، والقضاء على طريقتكم المثلى .

وهذا قَوْل بعضهم لبعض ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ .. (٦٤)﴾ [طه] فلا يُخفِى أحد فناً من فنون السحر ، وليُقدِّم كُلٌّ منّا ما عنده ؛ لأن عادة أهل الحِرَف أن يوجد بينهم تحاسد ، فلا يُظهر الواحد منهم كل ما عنده مرة واحدة ، أو يحاول أنْ يُخفى ما عنده حتى لا يطلع عليه الآخر ، لكن فى مثل هذا الموقف لا بُدَّ لهم من تضافر الجهود فالموقف حرِج ستعمُّ بلواه الجميع إنْ فشلنا فى هذه المهمة .

وقوله : ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا .. (٦٤)﴾ [طه] يعنى : مجتمعين كأنكم يد واحدة ، فهذا أهْيَبُ لكم وأدْخَلُ للرعب فى قلوب خصمكم ، كما أننا إذا جِئْنَا سوياً لم يتمكن أحد من التراجع ، فيكون بعضنا رقيباً على بعض .

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤)﴾ [طه] أفلح : فاز ، كما فى قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١)﴾ [المؤمنون] وهذا اللفظ مأخوذ من فلح الأرض ومنه الفلاحة ؛ لأن الفلاح إذا شقَّ الأرض أو حرثها ورعاها تعطيه خيرها ، فحركتُه فيها حركة ميمونة مباركة .

لذلك ، لما أراد الحق - تبارك وتعالى - أن يُبيِّن لنا مضاعفة الأجر والثواب على الصدقة وعلى فعل الخير ضرب لنا مثلاً بالزرع ، فقال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ [البقرة]

فإذا كانت الأرض وهى مخلوقة لله تعالى تعطى كل هذا العطاء ،

فما بالك بعطاء الخالق لهذه الأرض ؟ لذلك عقب المثل بقوله تعالى :
﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ .. (٢٦١)﴾ [البقرة]

ثم أخذَتْ كلمة الفلاح علماً على كل فلاح ، ولو لم يكن فيه صلة بالأرض ؛ لأن قصارى كل حركات الحياة أن تضمن للإنسان بقاء نَوْعه بالأكل ، والأرض مصدر هذا كله ، فكانت لذلك مصدراً للفوز .

وقوله . ﴿مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤)﴾ [طه] أى : طلب العُلو على خَصْمه . لكن هل الفلاح يكون لمن طلب العلو أم لمن علا بالفعل ؟ طبعاً يكون لمن علا ، إذن : مَنْ عَلاَ بالفعل لا بُدَّ أنْ يشحذ ذهْنه على أن يطلب العلو على خصمه ، فمهما علا الخصم استعلى عليه أى : طلب العُلو ، إذن : قبل علا استعلى .

ثم يقول الحق سبحانه عن السحرة :

﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥)﴾

تُلقى : ترمى . والمراد أن يرمى واحد منهم ما أعدَّه من سحر ، فاختار موسى أنْ يُلقُوا هم أولاً .

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦)﴾

لأنهم إنْ ألقوا سِحْرهم كانت للعصا مهمة حين يلقيها موسى ، فأراد أن يكون للعصا حركة بعد أن تنقلب إلى ثعبان أو حية أو جان ، وإلا لو ألقى هو أولاً ، فماذا سيكون عملها ؟

وقد ألهم الله تعالى سحرة فرعون هذا الأدب فى معركتهم مع

موسى ، فخيَّروه بين أنْ يلقى هو ، أو يلقوا هُمْ ، والله - تبارك وتعالى - يحُول بين المرء وقلبه ، فألهمهم ذلك مع أنهم خصومه ، وأنطقهم بما يؤيد صاحب المعجزة الخالدة ، فقالوا : ﴿ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾ [طه]

وقد اختار موسى - عليه السلام - أنْ يُلقى أخيراً ؛ لأن التجربة التى مَرَّ بها فى طوى مع ربه - عز وجل - لما قال له ربه : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [طه]

فلما ألقى موسى عصاه انقلبتْ إلى حيَّة تسعى ورأى هو حركتها ، لكن لم يكُنْ بهذه التجربة شىء تلقفه العصا ، فإذا ألقى موسى أولاً وتحوَّلَتْ العصا حية أو ثعباناً ، فما الفرق بينها وبين حبال السحرة التى تحولتْ أمامهم إلى حيَّات وثعابين ؟

إذن : لا بُدَّ من شىء يُميِّز عصا موسى كمعجزة عن سحْر السحرة وشعوذتهم ؛ لذلك اختار موسى أنْ يُلقى هو آخراً بإلهامَ من الله حتى تلقف عصاه ما يأفكون ، فما يُلقَف لا بُدَّ أن يسبق ما يَلْقُف .

فمن حيث الحركة أمام الناظرين لا فَرْقَ بين عصا موسى وحبال السحرة وعصِيهم ، فكلها تتحرك ، إنما تميزت عصا موسى بأنها تلقف ما يَصنعون من السحر ، وتتتبع حبالهم وعصيَّهم ، وتقفز هنا وهناك ، فلها - إذن - عَيْن تبصر ، ثم تلقف سِحرهم فى جوفها ، ومع ذلك تظل كما هى لا تنتفخ بطنها مثلاً ، وهذا هو موضع المعجزة فى عصا موسى عليه السلام[1] .

---

(١) قال محمد بن إسحاق : جعلت - العصا - تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة ، حتى ما يرى بالوادى قليل ولا كثير مما ألقوا ، ثم أخذها موسى فإذا هى عصا فى يده كما كانت . ذكره ابن كثير فى تفسيره (٢/٢٣٧) .

وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦)﴾ [طه] إذن : فحركة العصىِّ والحبال ليستْ حركة حقيقية ، إنما هى تخيُّل ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ .. (٦٦)﴾ [طه] فيراها تسعى ، وهى ليست كذلك .

وقد قال تعالى عن هؤلاء السحرة : ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ .. (١١٦)﴾ [الأعراف] فجاءوا بأعمال تخيُّلية خادعة بأىِّ وسيلة كانت ، فالبعض يقول مثلاً : إنهم وضعوا بها الزئبق ، فلما حَمِيَتْ عليه الشمس تمدَّد ، فصارتْ الأشياء تتلوّى وتتحرك ، فأياً كانت وسائلهم فهى مجرد تخيُّلات ، أمَّا الساحر نفسه فيراها حبالاً على حقيقتها . وهذا هو الفرق بين سِحْر السحرة ، ومعجزة عصا موسى .

والسحر يختلف عن الحِيَل التى تعتمد على خفَّة الحركة والألاعيب والخُدَع ، فالسحر أقرب ما يكون إلى الحقيقة فى نظر الرائى ، كما قال تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ .. (١٠٢)﴾ [البقرة]

إذن : هو فَنٌّ يُتعلم ، يعطى التخييل بواسطة تسخير الجنِّ ، فهم الذين يقومون بكل هذه الحركات ، فهى - إذن - ليستْ حيلاً ولا خفة حركة ، إنما هى عملية لها أصول وقواعد تُدرَّس وتُتعلَّم .

والخالق - عز وجل - حينما يعرض علينا قضية السحر ، وأنه عبارة عن تَسخير الشياطين لخدمة الساحر ، ويجعل لكل منهما القدرة على مضرَّة الآخرين : الساحر بالسحر ، والشياطين بما لديهم من قوة التشكّل فى الأشكال المختلفة والنفاذ من الحواجز ؛ لأن الجن خُلقُوا من النار ، والنار لها شفافية تنفذ خلال الجدار مثلاً .

أما الإنسان فَخُلِق من الطين ، والطين له كثافة ، وضربنا مثلاً

لنقرب هذه المسألة ، قلنا : هَبْ أنك تجلس خلف جدار ، ووراء هذا الجدار تفاحة مثلاً وهي من الطينية المتجمدة ، أيصل إليك من التفاحة شيء ؟ إنما لو خلف الجدار نار فسوف تشعر من حلال الجدار بحرارتها . هذه - إذن - خصوصيات جعلها الخالق عز وجل للشياطين فضلاً عن أنهم يرونكُم من حيث لا ترونهم .

لكن ، كان من لُطْف القدير بنا أن جعل لنا ما يحمينا من الشياطين ، فجعل الحق - تبارك وتعالى - الجن حين يتشكَّلون في الأشكال المختلفة تحكمهم هذه الأشكال ، بمعنى لو أن الشيطان تشكَّل لك في صورة إنسان فقد حكمتْه هذه الصورة ، فلو أطلقتَ عليه الرصاص في هذه اللحظة لقتلتَه فعلاً .

لذلك ؛ فالشيطان يخاف منك أكثر مما تخاف منه ، ولا يظهرون لنا إلا ومضة ولمحة سريعة خَوْفاً أن يكون الرائي له على علْم بهذه المسألة فيمسك به وساعتها لن يفلت منك .

وقد أمسك النبي ﷺ شيطاناً وقال[1] : « لقد هممت أن أربطه بسارية المسجد ، يلعب به غلمان المدينة ، إلا أنني ذكرت دعوة أخي سليمان ﴿هَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِي .. ﴿٣٥﴾﴾ [ص] » .

إذن ، الحق سبحانه أعطاهم خصوصية التشكّل كما يحبون ، إنما قيدهم بما يتشكّلون به ، كأنه يقول له : إذا تركتَ طبيعتك وتشكَّلْت بصورة أخرى فارْضَ بأنْ تحكمك هذه الصورة ، وأن يتحكم فيك

---

(١) حديث متفق عليه . أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٢٣) ، وكذا مسلم في صحيحه (٥٤١) كتاب المساجد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وتمامه : « إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ صلاتي ، فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان (رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) » .

الأضعف منك ، وإلا لَفزَّعوا الناس وأرهبوهم ، ولم نسلم من شَرِّهم .

وكذلك الحال مع الساحر نفسه ، فلديه بالسحر والطلاسم أن يُسخِّر الجن يفعلون له ما يريد ، وهذه خصوصية تفوق بها قدرتُه قدرةَ الآخرين ، ولديه بالسحر فُرْصة لا تتوفر لغيره من عامة الناس ، فليس بينه وبينهم تكافؤ فى الفُرص .

والله عز وجل يريد لخَلْقه أنْ تتكافأ فُرَصهم فى حركة الحياة فيقول للساحر : إياك أن تفهم أن ما يسَّرته لك من تسخير الأقوى منك ليقدر على ما لا تقدر عليه يفيدك بشىء ، أو أنك أخذتَ بالسحر فرصةً على غيرك ، بل العكس هو الصحيح فلن تجنىَ من سحْرك إلا الضرر والشقاء ، فالسحر فتنة للإنسان ، كما أنه فتنة للجن .

لذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ .. (١٠٢) ﴾ [البقرة]

والفتنة هنا معناها أن نختبر استعماله لمدى مَا أعدَّه الله له ، أيستعمله فى الخير أم فى الشر ؟ فإنْ قُلْتَ : أتعلَّم السحر لأستعمله فى الخير . نقول : هذا كلامك ساعة التحمُّل ، ولا تضمن نفسك ساعة الأداء . كما قلنا سابقاً فى تحمُّل الأمانة حين تقبلها ساعة التحمل ، وأنت واثق من قدرتك على أدائها فى وقتها ، ومطمئنٌ إلى سلامة نيتك فى تحمُّلها ، أما وقت الأداء فربما يطرأ عليك ما يُغيِّر نيتك .

وكما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) ﴾ [الأحزاب]

فاخترْنَ التسخير على الاختيار وحَمْل الأمانة ؛ لأنهن لا يضمَنَّ القيام بها .

وقد أعذر الله تعالى إلى السحرة في قوله : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ .. ١٠٢﴾ [البقرة]

كأن الساحر مآله إلى الكفر ؛ لأنه ابن أهواء وأغيار ، لا يستطيع أن يتحكَّم في نفسه فيُسخِّر قوة السحر في الخير ، كما أن الله تعالى إذا أراد أن يُسخِّر القوى للخير : أيُسخِّر الطائع ؟ أم يُسخِّر العاصي ؟ سيُسخِّر الطائع ، والجن الطائع لا يرضى أبداً بهذه المسألة .

إذن : لن يستطيع الساحر إلا تسخير الجن العاصي ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ .. ١٢١﴾ [الأنعام]

لذلك تلاحظ أن كل الذين يشتغلون بهذه العملية على سَمْتهم الغضب ، وعلى سحنتهم آثار الذنوب وشُؤْمها ، ينفر منهم مَنْ رآهم ، يعيشون في أضيق صور العيش ، فترى الساحر يأخذ من هذا ، ويأخذ من هذا ، ويبتز الناس ويخدعهم ، ومع ذلك تراه شحاذاً يعيش في ضيق ، ويموت كافراً مُبْعَداً من رحمة الله حتى أولاده من بعده لا يَسْلَمون من شُؤْمه ، وصدق الله العظيم حين قال : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ[1] بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ٦﴾ [الجن]

كما أن في حياة السحرة لفتة ، يجب أن نلتفت إليها ، وهي أن السحرة الذين يصنعون السحر للناس ويخدعونهم : من أين يرتزقون ؟ من عامة الناس الذين لا يفهمون في السحر شيئاً ، ولو

(١) قال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أُضَرَّ أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي . قال ابن كثير في تفسيره (٤٢٨/٤) : « فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً أي خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم » .

أنه أفلح بالسحر لأغنى نفسه عن أنْ تمتد يده إلى هذا ، فيأخذ منه عدة جنيهات ، وإلى هذا يطلب منه أشياء غريبة يُوهمه أن مسألته لن تُحَلّ إلا بها .

ولماذا لم يستخدم سحره في سرقة خزينة مثلاً ويريح نفسه من هذا العناء ، وإنْ قال : كيف وهى أموال الناس والسطو عليها سرقة ، فليذهب إلى الرِّكاز[1] وكنوز الأرض فليست مملوكة لأحد .

نعود إلى سحرة فرعون ؛ أياً كان سحرهم أمِنْ نوع الألاعيب وخِفّة الحركة وخداع الناظرين ؟ أم من نوع السحر الذى علّمته الشياطين من زمن سليمان ـ عليه السلام ـ فهو سحر لن يقف أمام معجزة باهرة جاءت على يد موسى لإثبات صدقه .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾

أوجس : من الإيجاس ، وهو تحرُّك شىء مخيف فى القلب لا يتعدّى إلى الجوارح ، فإنْ تعدى إلى الجوارح يتحول إلى عمل نزوعى ، كأن يهرب أو يجرى ، فالعمل النزوعى يأتى بعد الإحساس الوجدانى ؛ لذلك يقول بعدها : ﴿ فِي نَفْسِهِ .. ﴿٦٧﴾ ﴾ [طه]

وقد شعر موسى عليه السلام بالخوف لما رأى حبال السحرة وعصيّهم تتحول أمام النظارة إلى حيّات وثعابين ، وربما اكتفى

(١) الركاز : ما فى الأرض من المعادن فى حالتها الطبيعية . [المعجم الوجيز ـ مادة : ركز] وذهب أحمد بن حنبل إلى أنه كل ما خرج من الأرض مما يخلق فيها من غيرها ، مما له قيمة مثل : الذهب والفضة والحديد والنحاس والقار والنفط ونحو ذلك . ودليل وجوب الزكاة فى الركاز قوله ﷺ : « فى الركاز الخمس » أى ٢٠٪ راجع : فقه السنة (١/ ٣٥٤ – ٣٥٧) .

المشـاهدون بما رأوْه فـهرجوا عليـه وأنهوا الموقف عـلى هذا قبل أنْ يتمكّن هو مـن عمل شيء . فإنْ قُلْت : فلمـاذا لم يُلْقِ عصـاه وتنتهى المسـألة ؟ نقول : لأن أوامـره من الله أولاً بأول ، وهو معه يـتتبـعه سماعاً ورؤية ، فتأتيه التعاليم جديدة مباشرة .

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾

هذا حكم لله عـز وجل يأتى موسى على هيـئة برقـية مـختـصرة ﴿ أنتَ الأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾[طه] أنت المنصـور الفائز فـاطمئن ، لكن تتـحرك فى موسى بشريته : منصور كيف ؟

وهنا يأتيه الأمر الـعملى التنفيذى بعد هذا الـوعد النظرى ، وكأن الحق سبحانه متتبع لكل حركـات نبيه موسى ، ولم يتركه يباشر هذه المسـألة وحـده ، إنما كان معـه يسمع ويرى ، فيردُّ على السـماع بما يناسبـه ، ويردُّ على الرؤية بما يناسبـها . ودائماً يرهف النبى سمـعه وقلبه إلى ما يُلْقى عليه من توجيهات ربه عز وجل ؛ لذلك خاطبه ربه بقوله : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه]

فسيـأتيك الرد المناسب فى حينه . إذن : الحق سبحـانه لم يخبر موسى بمهمـته مع فرعون ثم تركه يباشرها بـنفسه ، وإنما تمَّتْ هذه المسـألة بتوجيهات مباشرة من الله تعالى .

﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾

وهذا أصل المعجزة فى عصا موسى ، أن تلقف وتبتلع ما يأفكون من السـحر وكلمـة ﴿ تَلْقَفْ .. ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه] تعطيك الصـورة الحركـية السريعة التى تُشبـه لمح البصر ، تقول : تلقفتُـه يعنى أخذتُه بسرعة

وشدة ، وهذه هى العلّة فى العصا أن تلقف ما صنعوا من السحر ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ .. (٦٩)﴾ [طه] والكَيْد : التدبير الخفىّ للتغلُّب على الخَصْم ، لكن ماذا يفعل كَيْد الساحر وألاعيبه وتلفيقه أمام قدرة الرب تبارك وتعالى ؟

ثم يقول تعالى : ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩)﴾ [طه] سبق أنْ تكلّمنا فى مسألة فَلاَح الساحر ، وأنه مهما أُوتِى من قدرة على تسخير الجن لعمل شىء فوق طاقة الإنس ، فلن يعطيه ذلك مَيْزةً على غيره ، ولن تكون له قدرة على شىء .

فإياكم أن تظنوا أن الله تعالى ملَّك مصالحكم لهؤلاء ، صحيح هو يفعل ، أما الإصابة والأذى فبإذن الله وتحت عنايته : ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ .. (١٠٢)﴾ [البقرة] وهذه القضية لا تنسحب على الساحر فحسب ، إنما على الوجود كله ، وإلى أنْ تقوم الساعة .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠)﴾

قال الزجاج[1] فى هذا الموقف : عجيب أمر هؤلاء ، فقد ألقوا حبالهم وعِصيّهم للكفر والجحود ، فإذا بهم يُلْقُون أنفسهم للشكر والسجود .

نعم ، لقد دخلوا كافرين فجرة فخرجوا مؤمنين بررة[2] ، لأنهم

---

(١) هو : إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة ، ولد ٢٤١ هـ ومات فى بغداد ٣١١ هـ ، كان فى فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو ، أدَّب القاسم ولد عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد العباسى . [الأعلام للزركلى ١/ ٤٠]

(٢) قال ابن عباس وعبيد بن عمير : كانوا أول النهار سحرة ، وفى آخر النهار شهداء بررة . [أورده ابن كثير فى تفسيره ٣/ ١٥٨] .

جاءوا بكل ما لديهم من الكَيْد ، وجمعوا صَفْوة السحر وأساتذته ممنْ يَعْلمون السحر جيداً ، ولا تنطلى عليهم حركات السحرة وألاعيبهم ، فلما رأوا العصا وما فعلتْ بسحرهم لم يخالطهم شكٌّ فى أنها معجزة بعيدة عمَّا يصنعونه من السحر ؛ لذلك سارعوا ولم يترددوا فى إعلان إيمانهم بموسى وهارون .

وهذا يدلُّنا على أن الفطرة الإيمانية فى النفس قد تطمسها الأهواء ، فإذا ما تيقظتْ الفطرة الإيمانية وأُزيلَتْ عنها الغشاوة سارعتْ إلى الإيمان وتأثرتْ به .

لقد سارع السحرة إلى الإيمان ، وكان له هَوىً فى نفوسهم ، بدليل أنهم سيقولون فيما بعد : ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ .. (٧٣)﴾ [طه] فكانوا مكرهين ، كانوا أيضاً مُسخَّرين ، بدليل قولهم : ﴿.. إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣)﴾ [الأعراف]

كأنهم كانوا لا يأخذون على السحر أجراً ، فلما كانت هذه المهمة صعبة طلبوا عليها أجراً ، فهى معركة تتوقف عليها مكانته بين قومه ، أما ممارستهم للسحر إرهاباً للناس وتخويفاً لمن تُسوِّل له نفسه الخروج والتمرد على فرعون ، فكان سُخْرة ، لا يتقاضَوْن عليه أجراً .

لذلك لم يعارض فرعون سحرته فى طلبهم ، بل زادهم منحة أخرى ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤)﴾ [الأعراف] فسوف تكونون سدنة الفرعونية ، يريد أنْ يشحن همَمهم ، ويشحذَ عزائمهم ، حتى لا يدخروا وُسْعاً فى فَنِّ السحر فى هذه المعركة .

إذن : فطباعهم وفطرتهم تأبى هذا الفعل ، وتعلم أنه كذب

وتلفيق ، لكن مـاذا يفعلون وكبيرهم يأمـرهم به ، بل ويُكرههم عليه ، ويلزمهم أنْ يُعلِّموا غيرهم[1] ، لماذا ؟ لأن السحر والشـعوذة والتلفيق هى رأس ماله وبضاعته التى يسعى إلى ترويجـها ، فعليها يقوم مُلْكه وتُبْنى ألوهيته .

وقوله تـعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً ..(٧٠) ﴾ [طه] فَرْق بين ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ .. (٤٤) ﴾ [الشعراء] وهذا منهم عمل اختيارى ، وبين ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً ..(٧٠) ﴾ [طه] : يعنى على غير اختـيارهم وعلى غـير إرادتهم ، كأن صَـوْلة الحق فاجـأتْ صحـوة الفطرة ، فلم يملكوا إلا أنْ خرُّوا لله ساجدين ، فالإلقـاء هنا عمل تلقائى دون تفكير منهم ودون شعور ، فقد فاجـأهم الحق الواضح والمعجزة الباهرة فى عصا موسى ، لأنها ليستْ سِحْراً فهم أعلم الناس بالسحر .

ونلحظ فى هذه الآية أنها جاءت بصيغة الجمـع : أُلقى السحرةُ ، قالوا ، آمنـا . لتدل على أنهم كـانوا يَداً واحدة لم يشذْ مـنهم واحد ، مما يدل على أنهم كانوا مكرهين مُسخَّرين .

كما أن إعلان إيمانهم جاء بالفعل المرئى المشاهد للجميع ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً ..(٧٠) ﴾ [طه] ، ثم بالقول المـسموع ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) ﴾ [طه] وفى آية أخرى : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ (٤٨) ﴾ [الشعراء]

ونعلم أن مـوسى ـ عليـه السلام ـ هو الأصـل ، ثم أُرسِل معـه أخوه هارون ، ولـما عرضَ القـرآن موقف السـحرة مع مـوسى حكى

(١) أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عـباس فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ .. (٧٣) ﴾ [طه] قال : أخذ فـرعون أربعين غلاماً من بنى إسـرائيل فأمر أن يعلموا السحـر بالعوماء ، وقـال : علموهم تعليـماً لا يغلبهم أحد فى الأرض . أورده السـيوطى فى [الدر المنثـور ٥/٥٨٧] .

قولهم : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾ [طه] وقولهم : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝٤٨﴾ [الشعراء]

لذلك كانت هذه المسألة مثارَ جَدَل من خصوم الإسلام ، يقولون : ماذا قال السحرة بالضبط ؟ أقالوا الأولى أم الثانية ؟

ولك أن تتصور جمهرة السحرة الذين حضروا هذه المعركة ، فكان رؤساؤهم وصفوتهم سبعين ساحراً ، فما بالك بالمرؤوسين ؟ إذن : هم كثيرون[1] ، فهل يُعقل مع هذه الكثرة وهذه الجمهرة أن يتحدوا في الحركة وفي القول ؟ أم يكون لكل منهم انفعاله الخاص على حَسْب مداركه الإيمانية ؟

لا شكَّ أنهم لم يتفقوا على قول واحد ، فمنهم مَنْ قال ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾ [طه] وآخرون قالوا : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝٤٨﴾ [الشعراء]

كذلك كان منهم سطحيّ العبارة ، فقال ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝٤٨﴾ [الشعراء] ولم يفطن إلى أن فرعون قد ادّعى الألوهية وقال أنا ربكم الأعلى فربما يُفهم من قوله ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝٤٨﴾[الشعراء] أنه فرعون ، فهو الذي ربّى موسى وهو صغير .

وآخر قد فطن إلى هذه المسألة ، فكان أدقَّ في التعبير ، وأبعد موسى عن هذه الشبهة ، فقال : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾ [طه] وجاء أولاً بهارون الذي لا علاقة لفرعون بتربيته ، ولا فضل له عليه ، ثم جاء بعده بموسى .

(١) اختُلف في عدد السحرة . قال محمد بن كعب : كانوا ثمانين ألفاً . وقال القاسم بن أبي بزة : كانوا سبعين ألفاً . وقال السدي : بضعة وثلاثين ألفاً وقال كعب الأحبار : كانوا اثنى عشر ألفاً . وعن ابن عباس : كانت السحرة سبعين رجلاً . [أورد هذه الأقوال ابن كثير في تفسيره (٣/١٥٨)] .

إذن : هذه أقوال متعددة ولقطات مختلفة لمجتمع جماهيرى لا تنضبط حركاته ، ولا تتفق تعبيراته ، وقد حكاها القرآن كما كانت فليس لأحد بعد ذلك أن يقول : إنْ كان القول الأول صحيحاً ، فالقول الآخر خطأ أو العكس .

وما أشبه هذا الموقف الآن بمباراة رياضية يشهدها الآلاف ويُعلِّقون عليها ، تُرى أتتفق تعبيراتهم في وصف هذه المباراة ؟

نقول : إذن ، تعددت اللقطات وتعددت الأقوال للقصة الواحدة لينقل لنا القرآن كل ما حدث .

ثم يقص الحق سبحانه رد فعل فرعون على ما حدث ، فيقول :

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾

طبيعى أن يشتاط فرعون غضباً بعدما سمعه من سحرته ، فقد جمعهم لينصروه فإذا بهم يخذلونه ، بل ويُقوِّضون عرشه من أساسه فيؤمنون بإله غيره ، ويا ليتهم لما خذلوه سكتوا ، إنما يعلنونها صريحة عالية مدوية : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه]

﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .. ﴿٧١﴾﴾ [طه] فمع الخيبة التى مُنِى بها ما يزال يتمسك بفرعونيته وألوهيته ، ويهرب من الاستخزاء الذى حاق به ، يريد أن يعطى للقوم صورة المتماسك الذى لم تُؤثِّر فيه

هذه الأحداث ، فقال ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .. (٧١)﴾ [طه] فأنا كبيركم الذى علَّمكم السحر ، وكان عليكم أنْ تحترموا أستاذيته ، وقد كنت سآذنُ لكم .

وكلمة (آمنتم) مادتها : أَمِنَ . وقد أخذت حيزاً كبيراً فى القرآن الكريم ، والأصل فيها : أَمِنَ فلانٌ أمناً يعنى : اطمأن . فليس هناك ما يُخوِّفه . لكن هذه المادة تأتى مرة ثلاثية (أَمِنَ) وتأتى مزيدة بالهمزة (آمن) .

وهذا الفعل يأتى متعدياً إلى المفعول مباشرة ، كما فى قوله تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾ [قريش] يعنى : آمن سكان مكة من الخوف .

وقد يتعدى بالباء كما فى : آمنت بالله ، أو يتعدى باللام كما فى قوله تعالى : ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ .. (٨٣)﴾ [يونس] وآمن له يعنى : صدَّقه فيما جاء به .

إذن : لدينا : آمَنَهُ يعنى أعطاه الأمن ، وآمن به : يعنى اعتقده ، وآمن له : يعنى صدَّقه .

وقد تأتى أمن وآمن بمعنى واحد ، كما فى قول سيدنا يعقوب : ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ .. (٦٤)﴾ [يوسف]

فلماذا اختلفت الصيغة من آمن إلى أمن ؟

قالوا : لأن قوله ﴿كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ .. (٦٤)﴾ [يوسف] كانت تجربة أولى ، فجاء الفعل (أمن) مُجرَّداً على خلاف الحال فى المرة الثانية ، فقد احتاجت إلى نوع من الاحتياط للأمر ، فقال ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ .. (٦٤)﴾ [يوسف] فزاد الهمزة للاحتياط .

فمعنى قول فرعون : ﴿آمَنتُمْ لَهُ .. (٧١)﴾ [طه] يعنى أى : صدَّقتموه .

وتأمل هنا بلاغة القرآن فى هذا التعبير ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .. (٧١)﴾ [طه] ومَن الذى يقولها ؟ إنه فرعون الآمر الناهى فى قومه يتحدث الآن عن الإذن . وفَرْق بين أمر وأذن ، أمر بالشىء يعنى : أنه يحب ما أمر به ، ويجب عليك أنت التنفيذ . أما الإذن فقد يكون فى أمر لا يحبه ولا يريده ، فهو الآن يأذن ؛ لأنه لا يقدر على الأمر .

وما دُمْتُمْ قد آمنتم له قبل أن آذن لكم فلا بُدَّ أن يكون هو كبيركم الذى علَّمكم السحر ، فكان وفاؤكم له ، واحترمتم هذا الكِبَر وساعدتموه على الفوز .

وهذا من فرعون سوء تعليل لواقع الإيمان ، ففى نظره أن موسى تفوّق عليهم ، لا لأنه يُجيد فنَّ السحر أكثر منهم ، إنما تفوّق عليهم لأنهم جاملوه وتواطأوا معه ؛ لأنه كبيرهم ومُعلِّمهم .

لذلك يتهدَّدهم قائلاً : ﴿فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ .. (٧١)﴾ [طه]

جاء هذا التهديد والوعيد جزاءً لهم ؛ لأنهم ـ فى نظره ـ هزموه وخذلوه فى معركته الفاصلة أمام موسى عليه السلام ، ومعنى : ﴿مِّنْ خِلافٍ .. (٧١)﴾ [طه] الخلاف أن يأتى شىء على خلاف شىء آخر ، والكلام هنا عن الأيدى والأرجل ، فيكون المراد اليد اليمنى مع الرِّجْل اليسرى ، أو اليد اليُسْرى مع الرِّجْل اليُمْنى .

وقوله : ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ ..(٧١)﴾ [طه] المعروف أن التَّصْليب يكون على الجذوع ؛ لذلك حاول بعض المفسرين الخروج من

هذا الإشكال فقالوا : (فى) هنا بمعنى (على) . لكن هذا تفسير لا يليق بالأسلوب الأعلى للبيان القرآنيّ ، ويجب أن نتفق أولاً على معنى التصليب : وهو أن تأتى بالمصلوب عليه وهو الخشب أو الحديد مثلاً ، ثم تأتى بالشخص المراد صلْبه ، وتربطه فى هذا القائم رباطاً قوياً ، ثم تشدّ عليه بقوة .

ولك أنْ تُجرِّب هذه المسألة ، فتربط مثلاً عود كبريت على إصبعك ، ثم تشدُّ عليه الرباط بقوة ، وسوف تجد أن العود يدخل فى اللحم ، ساعتها تقول : العود فى إصبعك ، لا على إصبعك .

إذن قوله تعالى : ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ .. (٧١)﴾ [طه] (فى) هنا على معناها الأصلى للدلالة على المبالغة فى الصَّلْب تصليباً قوياً ، بحيث يدخل المصلوب فى المصلوب فيه ، كأنه ليس عليه ، بل داخل فيه .

ثم يقول : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)﴾ [طه] أينا . المراد فرعون وموسى ، أو فرعون ورب موسى الذى أرسله ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)﴾ [طه] فجمع فى العذاب شدته من حيث الكيفية ، ودوامه وبقاءه فى الزمن . ولم يذكر القرآن شيئاً عن تهديد فرعون ، أفعله أم لا ؟ والأقرب أنه نفّذ ما هدد به .

وكان من المفروض فى تهديد فرعون أن يأخذ من قلوب السَّحرة ويُرهبهم ، فيحاولون على الأقل الاعتذار عمَّا حدث ، لكن شيئاً من هذا لم يحدث ، بل قالوا ما أهاجه أكثر :

﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)﴾

الإيثار : تفضيل شيء على شيء في مجال متساو تقول : آثرتُ فلاناً على فلان ، وهما في منزلة واحدة ، أو أن معك شيئاً ليس معك غيره ، ثم جاءك فقير فآثرْتَهُ على نفسك .

ومنه قوله تعالى : ﴿ويُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ .. (٩)﴾ [الحشر]

فقولهم : ﴿لن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا .. (٧٢)﴾ [طه] لأنه قال ﴿ولَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١)﴾ [طه] أنا أَمْ موسى ؟ فالمعركة في نظره مع موسى ، فأرادوا أنْ يُواجهوه بهذه الحقيقة التي اتضحتْ لهم جميعاً ، وهي أن المعركة ليستْ مع موسى ، بل مع آيات الله البينات التي أُرسِل بها موسى ، ولن نُفضّلك على آيات الله التي جاءتْنا واضحة بيِّنة .

ولما رأى السحرة معجزة العصا كانوا هم أكثر القوم إيماناً ، وقد وَضُح عُمْق إيمانهم لما قالوا : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠)﴾ [طه] ولم يقولوا : آمنا بموسى وهارون ، إذن : فإيمانهم صحيح صادق من أول وَهْلة .

وقد تعرضنا لهذه المسألة في قصة سليمان مع ملكة سبأ ، حين قالت : ﴿وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)﴾ [النمل] فأنا وهو مسلمان لله ، ولم تقل : أسلمت لسليمان ، فهناك رب أعلى ، الجميع مُسلِّم له .

إذن : فقوْل السَّحَرة لفرعون : ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا .. (٧٢)﴾ [طه] تعبير دقيق وواعٍ وحكيم ، لا تلحظ فيه ذاتيةَ موسى ، إنما تلحظُ البينة التي جاء بها موسى من الله .

لذلك يقول تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ(١) حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة] ثم يُبين عند مَنْ جاءت البينة : ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ [البينة]

فالارتقاء من الرسول إلى البينة إلى مَنْ أعطى له البينة ، فهذه مراحل ثلاث .

والبينات : هى الأمور الواضحة التى تحسم كل جدَلٍ حولها ، فلا تقبل الجدل والمهاترات ؛ لأن حجتها جليّة واضحة .

وقولهم : ﴿وَالَّذِى فَطَرَنَا .. ۝٧٢﴾ [طه] أى : ولن نُؤثرك أيضاً على الله الذى فطرنا ، أو تكون ﴿وَالَّذِى فَطَرَنَا .. ۝٧٢﴾ [طه] قسَم على ما يقولون ، كما تقول : لن أفعل كذا والذى خلقك ، فأنت تُقسم ألاَّ تفعل هذا الشىء .

وهذه حيثية عدم الرجوع فيما قالوه وهو الإيمان بربٍّ هارون وموسى .

ثم لم يَفُتْهم الإشارة إلى مسألة التهديدات الفرعونية : ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ .. ۝٧١﴾ [طه]

لذلك يقولون : ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ .. ۝٧٢﴾ [طه] أى : نفِّذ ما حكمتَ به من تقطيع الأيدى والأرجل ، أو اقْضِ ما أنت قاض من أمور أخرى ، وافعل ما تريد فلم تعُدْ تخيفنا هذه التهديدات ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٧٢﴾ [طه]

---

(١) انفكَّ : انفصل وزال وفارق ما كان عليه . قال تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ .. ۝١﴾ [البينة] أى : زائلين ومنفصلين عما هم فيه حتى جاءتهم البينة . [القاموس القويم ٢/٨٧] .